



قصة سيدنا ابراهيم

خطب الجمعة

2017-08-11

عمان

مسجد الناصر صلاح الدين

يا ربنا لك الحمد ملاً السماوات والأرض، وملاً ما بينهما، وملاً ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا يتفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك؟! وكيف نضل في هداك؟! وكيف نذل في عزك؟! وكيف نضام في سلطانك؟! وكيف نخشى غيرك والأمر كله إليك؟! وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليُخرجنا من ظلمات الجهل والوهم، إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خيراً ما جزا نبياً عن أمته.
اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد وسلِّم تسليماً كثيراً.

قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام وارتباطها بالحج:



قصة أئمة إبراهيم ترتبط بالحج

وبعد فبدأ أئمة الإخوة الكرام، في هذه الأيام نستقبل موسماً من مواسم الطاعات، والقربات، والخيرات، نُودع من الأهل والأصحاب من كتب الله لهم ويسر لهم أسباب الحج وسبله، ونستقبل قلوباً تهفو إلى تلك الديار المقدسة، وتطمع في زيارة بيت الله الحرام، وزيارة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، إلا أنه قد منعها مانع عن حج بيت الله الحرام، فتبقى القلوب معلقةً بهذه البلاد، نستلهم معاً في هذه الأشهر، أشهر الحج، قصةً ترتبط بالحج، قصة أئمة إبراهيم عليه السلام، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قال: صلى الله عليه وسلم:

(أَوَّلُ مَا اتَّخَذَ النَّسَاءُ الْمِنْطَقَ)، والمنطَق هو الجرام الذي يُشَدُّ في وسط المرأة، المنطَق، **(مِنْ قَبْلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِيُعْفِيَ أُنْثَرَهَا عَلَى سَارَةِ)**، حتى تمسح أثارها فيمنشي الحزام خلفها فيمسح أثرها، فلا تعرف زوج إبراهيم سارة مكان سيرها، قال: **(ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبَابِهَا إِسْمَاعِيلُ وَهِيَ نُزِيعُهُ حَتَّى وَصَعَتْهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ)**، في مكان بيت الله الحرام، لم يكن هناك بيت ولكن في المكان الذي جعله الله عز وجل مكان البيت، **(عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ رَمْرَمٍ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ)** عند شجرة كبيرة فوق ماء زمزم **(وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ)**، ليس بها شيء، أرض جرداء، **(فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَى إِبْرَاهِيمُ مِنْطَقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ)**، ولما إبراهيم راجعاً، تركها في وادٍ غير ذي زرع، لا نبت فيه ولا ماء، مع ابنه إسماعيل عليه السلام، وإنما رضيع، الهلاك مُحْتَمٌ ونسب الإِجَاءَ ضعیفٌ جداً، كيف تنجو بنفسها في هذا المكان؟ صحراء قاحلة، أودعها هناك ورحل، **(فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرَكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟)** لا إنسان ولا شيء آخر غير الإنسان، أبداً لا شيء، فقالت له مراراً: يا إبراهيم أين تتركنا؟ **(وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا)**.

إبراهيم زوج وأب، كما كل واحدٍ مِنَّا يكون زوجاً وأباً، يُحِبُّ زوجته، ويحبُّ ابنه الرضيع، يتمسك به ولا يريد أن يتركه، لكن إبراهيم عليه السلام أمرُ الله عِنْدَهُمُ فَوْقَ كُلِّ الْإِرْتِبَاطَاتِ، فجعل لا يلتفت، لعله إذا التفت بحزن قلبه، يرجع إليها، نهى دمعته فجعل لا يبكي، فقالت له بعد أن نادته مراراً، يا إبراهيم أين تتركنا؟ **(فَقَالَتْ لَهُ: اللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟)** أدركت أنَّ هناك سبباً وراء ذلك، لا يُمكن لإبراهيم النبي، إبراهيم الزوج الرحيم، الأب العطوف أن يفعل ذلك إلا أن يكون هناك أمرٌ فوق الحسابات، فوق حساباته الزوجية، فوق حسابات الأبوة والنسوة، **(فَقَالَتْ لَهُ: اللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: تَعَمَّ)**، كلمة واحدة، **(فَالْت: إِذَا لَا بُصِيغْنَا)**، انتهت المشكلة، مادام الله هو الأمر، فهو الحافظ والضامن، **(فَانطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ)** والنسب المكان الذي دخل منه النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة المكرمة فاتحاً، **(إِذَا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ حَيْثُ لَا تَرَوْتَهُ)** لم يعد مجال للرؤية بينه وبينهم، **(ثُمَّ دَعَا بِهِؤَلَاءِ الْكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ:)**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُونِ يَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
الْمُتَرَاتٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (37)

(سورة إبراهيم)

** } ** **أَوَّلُ مَا اتَّخَذَ النَّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قَبْلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ**؛ اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِيُعْفِيَ أُنْثَرَهَا عَلَى سَارَةِ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبَابِهَا إِسْمَاعِيلُ وَهِيَ نُزِيعُهُ، حَتَّى وَصَعَتْهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ رَمْرَمٍ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَى إِبْرَاهِيمُ مِنْطَقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرَكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: اللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: تَعَمَّ، قَالَتْ: إِذَنْ لَا بُصِيغْنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ حَيْثُ لَا تَرَوْتَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتِ، ثُمَّ دَعَا بِهِؤَلَاءِ الْكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُونِ يَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ { حَتَّى بَلَغَ: {يَسْكُرُونَ} [إبراهيم: 37]، وَجَعَلْتَ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَسْرُبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا تَفِدَّ مَا فِي السَّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلْتَ تَنْطُرُ إِلَيْهِ بِتَلَوَى -أَوْ قَالَ: يَتَلَبَّطُ- فَانطَلَقَتْ كَرَاهِيَةً أَنْ تَنْطُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتْ الصَّقَا أَقْرَبَ جَيْلٍ فِي الْأَرْضِ بَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الْوَادِي تَنْطُرُ: هَلْ تَرَى أَحَدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَيَّطَتْ مِنَ الصَّقَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْوَادِي رَفَعَتْ طَرْفَ بَدَنِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَادِي، ثُمَّ أَتَتْ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَتَطْرَتْ: هَلْ تَرَى أَحَدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلْتَ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ -قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا- فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ: صَه -ثُرَيْدٌ تَفْسَتْهَا-، ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَصْبًا، فَقَالَتْ: فَذُ اسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلِكِ عِنْدَ مَوْضِعِ رَمْرَمٍ، فَبَحَّتْ بِعَفِيهِ -أَوْ قَالَ: بِجَنَاحِهِ- حَتَّى طَهَرَ الْمَاءَ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تُعْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَانِهَا وَهِيَ تَقُورُ بَعْدَ مَا تُعْرِفُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَزْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ رَمْرَمَ -أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تُعْرِفْ مِنَ الْمَاءِ- لَكَانَتْ رَمْرَمٌ عَيْنًا مَعِيًا. قَالَ: فَسَرَبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ: لَا تَخَافُوا الصَّيْغَةَ؛ فَإِنَّ هَاهُنَا بَيْتُ اللَّهِ، يَبْنِي هَذَا الْعَلَامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيغُ أَهْلَهُ، وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الْأَرْضِ كَالرَّايَةِ، تَأْتِيهِ السُّبُورُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَهُ مِنْ جُرْهُمَ -أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ- مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَتَرَلُّوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ، فَرَأَوْا طَائِرًا غَائِقًا، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ، فَأُرْسَلُوا جَرَبًا أَوْ حَرَبِينَ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ، فَزَجَعُوا فَأَحْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ، فَأَقْبَلُوا، قَالَ: وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ، فَقَالُوا: أَنَاذِينِ لَنَا أَنْ نُنْزَلَ عِنْدَكَ؟ فَقَالَتْ: تَعَمَّ، وَكَيْنَ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ، قَالُوا: تَعَمَّ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الْإِنْسَ، فَتَرَلُّوا وَأُرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَتَرَلُّوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أُبْيَاتٍ مِنْهُمْ، وَسَبَّ الْعَلَامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ، وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعَجَبَهُمْ حِينَ سَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ رَوْحُهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَرَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ بِطَالِعِ تَرَكَّتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ،

فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ، فَقَالَتْ: حَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: تَحْنُ بَشْرٌ، تَحْنُ فِي صَبِيحٍ وَسِيْدَةٍ، فَسَكَتَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ رَوْحُكَ قَافِرِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ: يُعَيِّرُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَاتِبَهُ آتَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا سَبْحٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلْنَا عَنْكَ فَأُخْبِرْتُهُ، وَسَأَلْتَنِي: كَيْفَ عَيْشُنَا؟ فَأُخْبِرْتُهُ أَنَا فِي جَهْدٍ وَسِيْدَةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكَ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَفْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولَ: عَيَّرَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَلِكَ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَقَارِكَ، الْحَقِي بِأَهْلِكَ، فَطَلَّقَهَا، وَتَرَوَّجَ مِنْهُمْ أَحْرَى، فَلَيْتَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمَ مَا سَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدَ قَلَمٍ بِيَدِهِ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: حَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: تَحْنُ بِحَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَنْتِ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتْ: اللَّحْمُ، قَالَ: فَمَا سَرَابُكُمْ؟ قَالَتْ: الْمَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ، قَالَ: فَهَمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُؤَافِقَاهُ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ رَوْحُكَ قَافِرِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَمُريه بُيُوتُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَنَا سَبِحُ حَسَنُ الْهَيْئَةِ، وَأَنْتِ عَلَيْهِ، فَسَأَلْتَنِي عَنْكَ فَأُخْبِرْتُهُ، فَسَأَلْتَنِي: كَيْفَ عَيْشُنَا؟ فَأُخْبِرْتُهُ أَنَا بِحَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكَ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَلِكَ أَبِي، وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَ، ثُمَّ لَيْتَ عَنْهُمْ مَا سَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي ثَبَلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْرَمَ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَالِدِ وَالْوَالِدُ بِالْوَالِدِ، ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَتُعَيِّنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُبَيِّنَ هَاهُنَا بَيْتًا، وَأَسَارَ إِلَى أَكْمَةِ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا، قَالَ: فَعِيْدَ ذَلِكَ رَقَعَا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ائْتَمَعَ الْبِنَاءُ، جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُتَاوَلُهُ الْحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولَانِ: {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: 127]، قَالَ: فَجَعَلَا بَيْتَيْنِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُمَا يَقُولَانِ: {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة: 127]

(صحيح البخاري)

وللقصة بقية وهي طويلة، موجودة في كتب الحديث، وفي صحيح البخاري تحكيها، لكني أتوقف هنا.

ما معنى لبيك اللهم لبيك؟



الحج استجابةً لأمر الله عز وجل

أيها الإخوة الكرام، بدايةً الحج استجابةً لأمر الله عز وجل، لذلك يقول الحاج لبيك اللهم لبيك، ما معنى لبيك؟ كأن نداءً بداخلهم أن يا عبيدي تعال لأريحك من عناء الدنيا وهمومها، لبيك اللهم لبيك، كأن نداءً أن تترك مشاغل الحياة وتقف بين يدي ربك، لبيك اللهم لبيك، كأن نداءً تعنلي سفاسف الأمور ودينيتها وتعال إلى معالي الأمور وأشرفها فيقولوا: لبيك اللهم لبيك، كأن نداءً في داخله أن يا عبيدي اترك هموم الدنيا ومشاعلها، وتعال إلى ما يبقى، دع عنك ما يفني وهلم إلى ما يبقى وبدوم، فيقول: لبيك اللهم لبيك، هذا معنى الاستجابة لأمر الله عز وجل، هنا أيها الإخوة، إبراهيم عليه السلام لما قفل راجعاً كما أسلفنا (فَعَالَتْ لَهُ: اللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَا لَا يُصَيِّعُنَا) أيها التاجر، أيها البائع، الله أمرك أن لا تغش المسلمين؟ الله أمرك أن لا تستغل حاجتهم؟ الله أمرك أن لا تحتكر أوقاتهم؟ إذا لا يُصَيِّعُكَ، أيها المعلم في صفك الله أمرك أن تُعلم طلابك بإخلاص؟ أن تبني فيهم التربية والعقيدة الصحيحة؟ أن تحرض على دينهم وعلى دنياهم؟ إذا لا يُصَيِّعُكَ، أيها الأب، الله أمرك أن تُربي أولادك؟ أن تحفظ لهم دينهم قبل أوقاتهم؟ أن تحفظ أهل بيتك، أن تقوي نفسك وأهلك النار إذا لا يُصَيِّعُكَ، أيها الأم، الله أمرك أن تلتفتي إلى أولادك وإلى بناتك، فتعلمهم على العفة والجشمة والحجاب؟ إذا لا يُصَيِّعُكَ، أيها الطالب الله أمرك أن تدرس وتتفوق وتخدم أمك، وتجعل علمك في خدمة الأمة إذا لا يُصَيِّعُكَ، أيها الموظف في مكتبك، الله أمرك أن تخدم مراجعك، أن لا تنتزق وقتهم ولا مالهم، أن تعاملهم كما تعامل أهل بيتك، إذا لا يُصَيِّعُكَ.

المؤمن في إمتحان دائم عنوانه هل تستجيب لأمر الله؟

المؤمن أيها الإخوة وهو في بلده قبل أن يذهب إلى الحج ويقول: لبيك اللهم لبيك، وهو في بلده مُعَرَّضٌ فِي كُلِّ لِحْظَةٍ لِامْتِحَانٍ عُنْوَانُهُ هَلْ تَسْتَجِيبُ لِأَمْرِ اللَّهِ؟ اللَّهُ أَمَرَكَ فَهَلْ اسْتَجِيبْتَ لِأَمْرِهِ؟ قَبْلَ أَنْ تَقُولَ لَبِيكَ اللَّهُمَّ لَبِيكَ فِي الدِّيارِ الْمُقَدَّسَةِ، هَلْ تَقُولُهَا فِي وَطَنِكَ؟ هَلْ تَقُولُهَا بَيْنَ أَهْلِكَ؟ قُلْ لَبِيكَ اللَّهُمَّ لَبِيكَ وَأَنْتَ فِي دِيَارِكَ، قَبْلَ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، لَبِيكَ أَيُّ يَا رَبُّ أَنْتَ أَمَرْتَ وَأَنَا عِنْدَ أَمْرِكَ، وَمَادَامَ اللَّهُ هُوَ الْأَمْرُ فَهُوَ الْحَافِظُ وَالضَّامِنُ.

إبراهيم عليه السلام يُمثل قمة الاستجابة لأوامر الله:



النبى إبراهيم يُمثل قمة الاستجابة لأمر الله

إبراهيم أبها الإخوة عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، نحن ما من نبيّ نذكره في صلاتنا مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في كل صلاة، إلا إبراهيم عليه السلام، في كل صلاة، اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في كل صلاة، لأنّ هذا النبي أبها الإخوة الكرام يُمثل قمة الاستجابة لأمر الله، ونحن في الصلاة نستجيب لأمر الله ونقف بين يدي الله، إبراهيم أسكن من ذريته بواحد غير ذي زرع استجابةً لأمر الله، إبراهيم ذبح ابنه، وإن لم يذبحه استجابةً لأمر الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَلَمًا أَسْلَمًا وَتَلَهُ لِلْجَبِينِ (103)

(سورة الصافات)

وصل للذبح وضع السكينة على رقبته، هل تُدرك هذا المعنى؟ لعل هذه القصة أبها الإخوة لا تفعل فعلها في نفوس كثير من الناس لأننا نعرف الخاتمة، نعرف أنّ الله فداه بذبح عظيم، وأنّ إسماعيل لم يُذبح، لكن لما وضع إبراهيم السكينة على رقبته هل كان أمر الفداء وارداً؟ أبداً، كان يُنقذ أمر الله، ماذا كان موقف إسماعيل؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَلَمًا بَلَعَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَاصْبِرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن سَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102)

(سورة الصافات)

لما تخلى إبراهيم عن كل ارتباطات المادة، ونحن غير مأمورين بذلك ولله الحمد، نحن مأمورون برعاية أولادنا، مأمورون بحفظهم، هذا الامتحان استثنائي لإبراهيم لماذا؟ لأنّ إبراهيم عليه السلام سيقوم بعمل استثنائي، سيبني البيت.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26)

(سورة الحج)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ بَرَّعَ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
(127)

(سورة البقرة)

لذلك إبراهيم لم يكن فرداً واحداً، إبراهيم كان أمةً في الخير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120)

(سورة النحل)

كسّر الأصنام التي كانت تُعبد آلهةً من دون الله، استجاب لأمر الله فأسكن من ذريته بواوٍ غير ذي زرع، استجاب لأمر الله فأراد أن يذبح ابنه تنفيذاً لأمر الله، استجاب لأمر الله فرفع القواعد من البيت، وما تزال الأمة إلى اليوم، اقتداءً بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام تقول لبيك اللهم لبيك، تُجي سُنّة الأضحى، لأنه لم يكن فرداً بل كان أمةً (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً).

أيها الإخوة الكرام إذا لا يُضَيِّعُنَا، نعود إلى قول هاجر (إِذَا لَا يُضَيِّعُنَا)، أستاذة اليقين هاجر، تُعلم الأمة اليقين.

قصة جُلَيْبِيبِ رضي الله عنه ويقين زوجته:

هي أستاذة في اليقين هاجر (إِذَا لَا يُضَيِّعُنَا)، من يملك يقيناً بالله كيقين هاجر؟! امرأةٌ ثانية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، رجلٌ به دمامة وفقير، (ودمامة أي بشاعة)، اسمه جُلَيْبِيبِ، النبي صلى الله عليه وسلم تفقده يوماً قال ألا تتزوج يا جُلَيْبِيبِ، تزوجك، قال: ومن يُزَوِّجني يا رسول الله؟ من يُزَوِّج جُلَيْبِيبِ الفقير الدميم؟! قال: أنا أفعل، أنا أزوجك، انطلق رسول الله إلى رجلٍ من الأنصار، قال له: زوجني ابنتك، قال: نعم رسول الله، أزوجك فوراً، قال: ليس لنفسي، أريدها لجُلَيْبِيبِ، قال: جُلَيْبِيبِ؟! إذا أستاذم أمها، أخذ مشورة الأم، رجع إلى البيت قال إن رسول الله يخطب إليك ابنتك، فقالت: نعم لرسول الله زوجها له، قال: ليس لنفسه يريدنا، قالت: لمن؟ قال: لجُلَيْبِيبِ، قالت: لا والله لا تزوجها جُلَيْبِيباً وقد منعناها فلانا وفلانا، جاءها من هو خيرٌ من جُلَيْبِيبِ وما زوجها، ثم تزوجها جُلَيْبِيبِ؟! هذه الفتاة الطاهرة خلف الستار تسمع حديث أبوها، صرخت بأعلى صوتها، مَنْ خطبني إليك؟ الخاطب مَنْ؟ قال: رسول الله، قالت: وتزوّدان أمر رسول الله؟! ادفعا بي إليه فإنه لن يُضَيِّعُنِي، هذه أستاذة ثانية في اليقين، ادفعا بي إليه فإنه لن يُضَيِّعُنِي، الخاطب رسول الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ
وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ صُلًّلاً مَبِينًا (36)

(سورة الأحزاب)



قصة جُلَيْبِيبِ وتنفيذ أمر الرسول الكريم
رُوحها لجُلَيْبِيبِ، وجمع لهما مالا وزوجهم، وبعد زواج جُلَيْبِيبِ بأسابيع دعا داعي الجهاد، خرج جُلَيْبِيبِ للجهاد، وبعد المعركة تفقد رسول الله أصحابه، قال: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: لا، قال: ولكنني أفقدُ جُلَيْبِيبًا، قوموا إلى أرض المعركة، فوجده مُسجى بدمائه في أرض المعركة، قد قتل سبعةً من المشركين ثم قتلوه، انحنى عليه وقبّله من رأسه، قال: يا جُلَيْبِيبِ أنت مني وأنا منك، ثم حمله على ذراعيه، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: "والله جعفرنا قبر جُلَيْبِيبِ وما لجُلَيْبِيبِ فراشٌ إلا ذراع رسول الله صلى الله عليه وسلم"، فما مِنّا واحدٌ يومها إلا تمنى أن يكون مكان جُلَيْبِيبِ، أما تلك المرأة الصالحة التي دعا لها النبي صلى الله عليه وسلم عند الزواج "اللهم لا تجعل عينيها كذاً كذاً، وضبت عليهم من الخير صنّاً صنّاً"، فما رأيت في العرب أمةً، فقد خطبها رجلٌ من وجهاء الأنصار بعد قضاء عدّتها، فازت المرأة، وفاز جُلَيْبِيبِ، وفاز الجميع بتنفيذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رَبُّنَا أَوْلِيَاتِكُمْ مَعَ أَبْنَائِكُمْ فَالصَّلَاةُ أَوْلَى:

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامِ، خَتَاماً لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا اسْتَقْبَلَ التَّنْبِيَةَ دَعَا بِكَلِمَاتٍ، قَالَ: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُونِِّي بَوَادٍ غَيْرِ دِي رَزَعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) مَاذَا يُرِيدُ إِبْرَاهِيمُ

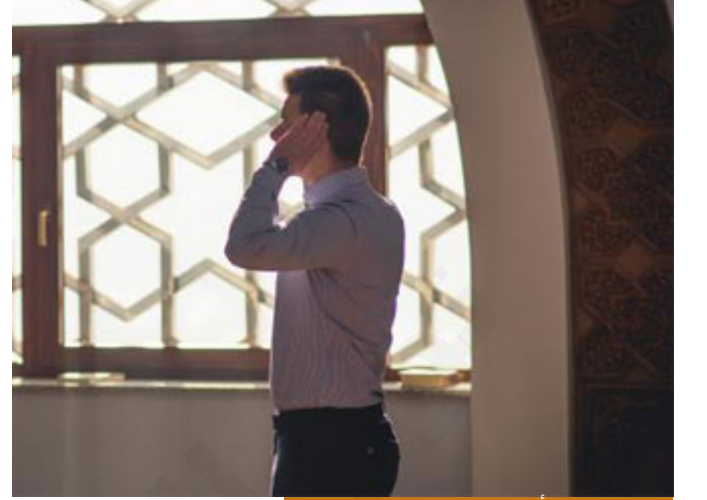
الآن؟ يُرِيدُ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ

(رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ) أَوْلَى.

(فَاجْعَلْ أَفِيئَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) ثَانِيًا.

(وَازْرُقْ لَهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ) ثَالِثًا.

كَيْفَ رَبُّ إِبْرَاهِيمَ أَوْلِيَاتِهِ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ أَوْلَادِهِ وَدُرَيْتِهِ؟



الثَّمَرَاتِ عِنْدَمَا تَأْتِي دُونَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ لَا قِيَمَةَ لَهَا

أَوْلَى: لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ.

ثَانِيًا: النَّاحِيَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيْهِمْ أَنَا سُبْحَانَهُمْ.

ثَالِثًا وَأَخِيرًا: النَّاحِيَةُ الْمَادِيَّةُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ طَعَامٌ لِلذَّرْبَةِ، مَعَ أَنَّهُ عِنْدَمَا وَضَعَهَا فِي هَذَا الْمَكَانِ، أَضْطَرُّ مَا يَخْطُرُ فِي بَالِ أَيِّ الْإِنْسَانِ هُوَ نَفَاذُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَيَبِينُ أَيْدِيَهُمْ بَشِيءٌ لَا يَكْفِيهِمْ إِلَّا لِيَوْمٍ، لَكِنْ مَا قَالَ أَوْلَى رَبَّنَا وَارزُقهم من الثمرات، لِأَنَّ الثَّمَرَاتَ عِنْدَمَا تَأْتِي دُونَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ لَا قِيَمَةَ لَهَا، وَحَتَّى عِنْدَمَا دَعَا لَهُم بِالثَّمَرَاتِ قَالَ: (وَازْرُقْ لَهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)، فَإِذَا جَاءَتِ الثَّمَرَاتُ وَلَمْ يَأْتِيَ الشُّكْرُ، كَانَتِ الثَّمَرَاتُ تَلْفَاءً، وَسَبَبًا مِنْ أَسْبَابِ هَلَاكِ الْمُؤْمِنِ.

رَبُّنَا أَوْلِيَاتِكُمْ مَعَ أَبْنَائِكُمْ أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ (رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ) أَوْلَى هَلْ صَلَّيْتَ الْفَجْرَ قَبْلَ أَنْ هَلْ كَتَبْتَ وَاجِبَكَ؟ قَبْلَ هَلْ أَكَلْتَ الطَّعَامَ هَلْ صَلَّيْتَ؟ (رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفِيئَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَازْرُقْ لَهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ).

حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا، وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَوَزنَ عَلَيْكُمْ، وَعَلِّمُوا أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ قَدْ تَخَطَّاهَا لَعِينًا وَسَيَتَخَطَّى غَيْرَنَا وَإِنَّا فَالْآنُ نَحْنُ جِذْرَانَا، الْكَيْسُ مِنْ دَانَ نَفْسِهِ وَعَمِلَ لَمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مِنْ أَتَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ وَاسْتَغْفَرُوا لِلَّهِ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ يَا مَوْلَانَا سَمِيعٌ قَرِيبٌ مَّجِيبٌ لِلدَّعَوَاتِ، اللَّهُمَّ بِرَحْمَتِكَ عُقْمْنَا، وَكَفَيْتَنَا اللَّهُمَّ شَرًّا مَا أَهْمَّنَا وَأَعَمَّنَا، وَعَلَى الْإِيمَانِ الْكَامِلِ وَالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَوْقِنًا، نَلْقَاكَ وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنَّا كُنَّا مِنَ الظَّالِمِينَ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَارزُقنا اللهم حَسَنَ الْخَاتِمَةِ، وَاجْعَلْ أَسْعَدَ أَيَّامِنَا يَوْمَ نَلْقَاكَ وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا، أَنْتَ حَسْبُنَا عَلَيْكَ اتِّكَلْنَا، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلَّمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلَّمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، اللَّهُمَّ بِفَضْلِكَ عُقْمْنَا، وَكَفَيْتَنَا اللَّهُمَّ شَرًّا مَا أَهْمَّنَا وَأَعَمَّنَا، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ أَعْلَى كَلِمَةِ الْحَقِّ وَالدِّينِ، وَانصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَعِزِّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ انصُرِ إِخْوَانَنَا الثُّرَابِيِّينَ فِي الْأَفْصَى عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَعْدَائِهِمْ يَا رَبِّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ انصُرِ إِخْوَانَنَا الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، اللَّهُمَّ فَرِّجْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ اطْعِمْ جَانِعَهُمْ، وَاكسُو عُزْبَانَهُمْ، وَارْحَمْ مُصَابِعَهُمْ، وَأَمِنْ غَرِبَهُمْ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا فِي ذَلِكَ عَمَلًا مُتَقَبَلًا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اجْعَلْ هَذَا الْبِلَادَ أَمْنًا سَخِيًّا رَحِيمًا مُطْمَئِنًّا وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَفِيهِ اللَّهُمَّ وَلاةُ الْمُسْلِمِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا لَمَّا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَأَكْرَمَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَمْرٌ رَشِيدٌ، يُعْرِضُ فِيهِ أَهْلُ طَاعَتِكَ، وَيُذَلُّ فِيهَا أَهْلُ مَعْصِيَتِكَ، وَيُؤْمَرُ فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْهَى فِيهِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَفِيهِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْبِلَادِ لَمَّا فِيهِ خَيْرُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ.